**التعاون والسلطة : قضايا الصوت , والتفسير, والتمثيل في التاريخ الشفاهي**

في سنة 1990 صك مايكل فريش مصطلح السلطة المشتركة والذي اراد به تسمية احدى القضايا ذات البروز الخاص في عملية التاريخ الشفاهي وهي : مدى كون مقابلة التاريخ الشفاهي ذات طابع تعاوني او تشاركي . وقد استعمل فيرش مصطلح السلطة المشتركة للاشارة الى تعاون الباحث والراوي اثناء عملية التفسير والتصور. عند استعمال طريقة التاريخ الشفاهي , فان الجزء المخصص من عملية البحث لجمع البيانات يكون ذا طابع تعاوني . اذ يقوم الباحث والمبحوث بخلق المعرفة معا من خلال خلقهما لقصة حياة . فالباحث يستهل هذه العملية وييسر على الراوي ان يحكى قصته . وكما هو معهود , يقوم الباحث بعدها بتدوين المقابلة ( او المقابلات ),وقد يضيف الى هذا السجل ملاحظاته وتعليقاته ليفسر بها ما ورد في هذا السرد من جوانب تتصل بأداء الراوي , أو يضيف ذكر مشاعره وافكاره وتساؤلاته , وما الى ذلك . وهكذا , فانه في نهاية الامر وبكل وضوح , يعمل الباحث والراوي معا لتقديم المادة الخام: الا وهي سجل التاريخ الشفاهي (واي ماده اخرى) . ولكن ما الذي يحدث بمجرد جمع بيانات هذه المقابلة ؟

هل تظل تلك العملية التعاونية التي تصوغ شكل جمع البيانات مستمرة اثناء مرحلة التحليل والعرض ؟ ومن الذي يبدا بوضع سمته الخاصة على القصة التي تتجمع وتتبلور من خلال هذه العمليه هذه العملية ؟ ومن الذي له سلطة على هذه القصة او هذا السرد ؟ وهل هذه السلطة ممكنة دائما , او هل هي امر مرغوب فيه؟ وما هي الاعتبارات الاخلاقية التي يتم الالتزام بها عند تقرير المدى الذي سيبلغه هذا المشروع البحثي من هذا الجهد التعاوني ؟ وما هو الاثر الذي يحدثه التعاون على الباحث , و على الراوي , وعلى البحث نفسه ؟ وبصفة عامة, كيف نفكر في مسالة تفسير بيانات التاريخ الشفاهي؟ تلك فقط بعض الاسئلة التي يتعين على المشتغل بالتاريخ الشفاهي ان يضعها في اعتباره . ذلك ان التفكير الكلى في المشروع البحثي الكيفي يقتضى من الباحث ان يفكر في القضايا المتعلقة بالتفسير وهو يصمم خطة البحث , وان يواظب على الرجوع الى هذه القضايا على امتداد المشروع البحثي , وذلك لان الغالب على البحث الكيفي انه يتضمن التعرض للتغيير.

وفي صميم الاسئلة المتعلقة بالتعاون فيما بعد مرحلة جمع البيانات , توجد في الواقع , الاسئلة المتعلقة بالسلطة والتي نشير اليها بوصفها مصفوفة التاريخ الشفاهي : اي ذلك التداخل والتشابك بين طريقة البحث , والاخلاق , والسياسة. فمن هو الذي له سلطة على البيانات؟ وهل يتم تقاسم هذه السلطة بين الباحث والراوي (او الرواة)؟ ان هذا السؤال المعقد عن السلطة انما يوجد حيث تكون مصفوفة التاريخ الشفاهي , بما فيها من التقاطع بين طريقة البحث , والاخلاق, والسياسة, ظاهرة باقصى درجات الوضوح. ونظرا لما للتاريخ الشفاهي من التطور التاريخي والاستعمالات الراهنة داخل العلوم الاجتماعية والانسانيات , فانه يمزج بين احد ادوات البحث وبين مجموعة محددة من الاعتبارات الاخلاقية والقضايا السياسية الخاصة بالعدالة الاجتماعية. وعند كتابتها عن عبارة السلطة المشتركة تقول شوبز : تعبر هذه العبارة الطنانة بدقة عن المعنى الموجود في صميم كل من طريقة البحث والاخلاق المتعلقة بمشروع التاريخ الشفاهي- او ربما ينبغي على المرء ان يقول: القضايا السياسية لهذا المشروع , واعنى بهذا : ذلك الحوار الذي يحدد عملية المقابلة نفسها وامكانية ان يمتد هذا الحوار الى الخارج - اي المنتديات العامة والبرامج الاذاعية, والاعمال الدرامية ( في السينما والمسرح ) , والمطبوعات , وغيرها من الاشكال – في اتجاه ممارسة ثقافة ديمقراطية اوسع نطاقا .

ويثير هذا الكلام اسئلة مهمة تتعلق بمدى كون المعرفة المستقاة من عملية سرد حكايات التاريخ الشفاهي ذات طابع تعاوني من حيث تطورها , ومدى اتاحتها فيما بعد , ومن حيث الانتفاع بها . ذلك ان ما يحمله التاريخ الشفاهي من امكانية للتعاون ليست مجرد اختيار يتعلق بمنهجية البحث ولكنها تحمل معها - فضلا عن ذلك – مجموعة من المعتقدات السياسية وجملة من الاعتبارات الاخلاقية .وفي صميم هذه القضايا يقع السؤال الذي يطرحه فريش حين يقول : من هو مؤلف التاريخ الشفاهي ؟ وفي الواقع يستطرد فريش ليسترعي انتباهنا لتلك الرابطة القائمة بين كلمة مؤلف وكلمة سلطة كاشفا عن مدى تشبع التصور بالقوة ( السياسية ). فالشخص الذي يفسر القصة , ويصوغ شكلها ويقدمها هو الذي تكون له سلطة معينة على البيانات, فهو بذلك الشخص الذي يتحكم في بناء المعرفة. اذن فماذا يعنيه عند الباحث ان "يؤلف" قصة شخص اخر؟ وكيف يمكن اشراك الراوي في هذه العملية ؟ وما هي الخيارات المتاحة للباحثين الكيفيين؟

وكما هو الحال في كافة المشاريع البحثية, فاننا نوصي بان تكون الاهداف الخاصة للمشروع البحثي هي التي تحدد مدى كون مرحلة التفسير مرحلة ذات طابع تعاوني . فبعض المشروعات ستكون ملائمة بدرجة اكبر لاقتسام السلطة اثناء المراحل كلها , بينما تجعل بعضها الاخر هذا الاقتسام محالا او غير مرغوب فيه. وسوف تساعد معتقداتك الابستمولوجية الخاصة بالعلاقة بين الباحث و المبحوث في بالورة هذه القرارات, كما ستساعدك علي ذالك دوافعك الخلقية والسياسية, الا انه لابد لعملية البحث- اساسا – ان تكون متشابكة مع اهدافك ووسائلك. وتحتوي جميع المقابلات الخاصة بالتاريخ الشفاهي على ابعاد ذات طابع تعاوني, وان كانت استراتيجيات التفسير يمكنها استخدام تشكيلة منوعة من الرؤى التصورات. وقد يكون من المفيد ان نفكر في التاريخ الشفاهي باعتباره قائما على متصل تعاوني- اذ ان بالامكان ان تتنوع المشروعات البحثية ابتداءا من كونها تعاونية في مرحلة جمع البيانات فقط وانتهاء بكونها تعاونية بصورة شاملة منذ مرحلة التصميم الاولى للبحث وحتى الانتهاء من مرحلة كتابة النتائج .

وفي هذا الصدد يشير فيرش الى قضية مهمة فيقول:

يمثل تقاسم السلطة منحى في القيام بالتاريخ الشفاهي, بينما تمثل السلطة المشتركة امرا نحتاج للاعتراف به في ممارستنا لهذا العمل .

.